



بسم الله الرحمن الرحيم

قيام رمضان وانتصاف الشهر

يقول الحسن البصري رحمه الله عن سلف الأمة: "لقد صحبتُ أقواماً يبيتون لربهم سجداً وقياماً، يقومون هذا الليل على أطرافهم، تسيل دموعهم على خدودهم، فمرة رُكعاً، ومرة سجداً، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، لم يملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء، فأصبح القوم مما أصابوا من النصب لله في أبدانهم فرحين، وبما ياملون من حسن ثوابهم مستبشرين، فرحم الله امرأ نافسهم، ولم يرض لنفسه من نفسه بالتقصير في أمره، واليسير من فعله، فإن الدنيا عن أهلها منقطعة، والأعمال على أهلها مردودة" انتهى كلامه رحمه الله.

عباد الله: قيام الليل يورث القلب رقةً ونوراً، قال عطاء الخرساني: "كان يقال: قيام الليل حياة للبدن، ونور في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أصبح فرحاً يجد لذلك فرحاً في قلبه، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه أصبح حزيناً منكسراً القلب، كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً" انتهى كلامه.

إن ربنا ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيجيب دعوة الداعي، ويعطي السائل، ويغفر الذنب، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة» (م)

قال الفضيل بن عياض: "إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطيئتك".

عباد الله: عشر رمضان الأخيرة قد أقبلت، فيها خيرات كثيرة، وفضائل مشهودة، فيها ليلة خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن جد واجتهد في طلب أمر ضحى



من أجله، وفي سبيله استسهل الصعب، وتلذذ بأي مشقة في الدرب، يتقلب في أنواع القربات والطاعات ليلاً ونهاراً، يومه كله عبادة، وجوارحه في طاعة، تراه قائماً، فإذا فرغ أمسك القرآن تالياً، ثم لهج لسانه بالذكر والاستغفار مرّداً، ثم رفع أكف الضراعة سائلاً، قلبه خاشع، لسانه ذاكراً، عينه باكية، جوارحه خاضعة، قد شغل عن جميع الناس بطاعة إله الناس. طالباً ليلة القدر التي أنزل الله فيها سورة تتلى إلى يوم القيامة: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

عباد الله: الصلاة مفزع التائبين، وملجأ الخائفين، ونور المتعبدين، وبضاعة المتاجرين، تجلو صدأ القلوب بأنوارها، وتزيل حجب الغفلات بأذكارها، وتير الوجوه بأسرارها وآثارها صلاة الليل تشحذ الهمم، قربة إلى الله، ومنهأة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرودة للداء عن الجسد، يقول وهب بن منبه رحمه الله: "قيام الليل يشرف به الوضيع، ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمن راحة دون الجنة، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب أن يهون الله عليه طول الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الله ساجداً وقائماً، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه .

إنهم عباد الرحمن يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً، انتزعوا نفوسهم من وثير الفرش، وهدوء المساكن، وسكون الليل، وركود الكون، غالبوا هواتف النوم، وآثروا الأُنس بالله، والرجاء في وعده، والخوف من وعيده ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ .

عبادُ الله قانتون متقون ﴿قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحْرِ هُمُ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

لصلاة الليل عندهم أسرارها، وللأذكار في نفوسهم حلاوتها، وللمناجاة عندهم لذتها، يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله: "أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا".



الله أكبر، ما طاب لهم المنام لأنهم تذكروا وحشة القبور، وهول المطلع يوم النشور، يوم يُبعث ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، عباد صالحون ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ .

إذا أظلم الليل نامت قلوب الغافلين، وماتت أرواح اللاهين، من لم يكن له ورد من الليل فقد فرط في حق نفسه تفريطاً كبيراً، وأهملاً إهمالاً عظيماً، أي حرمان أعظم ممن تنهياً له مناجاة مولاه، والخلوة به، ثم لا يبادر ولا يبالي؟! ما منعه إلا التهاون والكسل، وما حرمه إلا النوم وضعف الهمة، ناهيك بأقوام يسهرون على ما حرم الله، ويقطعون ليلهم في معاصي الله، ويهلكون ساعاتهم بانتهاك حرمان الله، فستان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

أيها المسلمون: إن مما يحث الهمة، ويبعث القوة، أن تعلم أنك في أيام فاضلة، وأوقات شريفة، في شهر مبارك، المغبون من فرط فيه، والخاسر من لم ينافس فيه، هو ميدان التسابق لقوام الليل، وساحات التنافس للركع السجود، هذه الأيام من أرجى الأيام، فاجتهد يا رعاك الله في اغتنامها قبل انقضائها .



الخطبة الثانية

أيها المسلمون : لقد مضى من رمضان صدره، وانقضى منه شطره، واكمل منه بدره، فاغتمنوا فرصة تمرُّ مرَّ السحاب، ولجوا قبل أن يُغلق الباب، وبادروا أوقاته مهما أمكنكم، واشكروا الله على أن أحرَّكم إليه ومكنكم، واجتهدوا في الطاعة قبل انقضائه، وأسرعوا بالمشاب قبل انتهائه، فساعاته تذهب، وأوقاته تُنهب، وزمانه يُطلب، ويوشك الضيف أن يرتحل، وشهر الصوم أن ينتقل، فأحسنوا فيما بقي، يغفر لكم ما مضى.

أيها المسلمون، تنصّف الشهر وانهدم، وفاز من بحبل الله اعتصم، وخاف من زلّة القدم، واغتمن شهر رمضان خير مغتم، وشقي الغافل العاصي بين الذل والسقم، والأمن والندم، ويا ويله يوم تحل على أهل المخالفة الآفات، يوم تنقطع أفئدة أهل التفريط بالزفرات، يوم يُحشر أهل المعاصي والدموع على الوجنات، يقول تعالى في الحديث القدسي «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» أخرج مسلم .

أيها المسلمون: أين من كانوا معنا في رمضان الماضي ، أما أفنتهم آفات المنون القواضي، وأعدمتهم صوماً وفطراً، وزودتهم من الحنوط عِطراً، وأصبح كل منهم في اللحد قبرا ، أما أدارت عليهم المنون رحاها، وحكَّ وجوههم الثرى فمحاها ، ثم أين من صاموا معنا في أول الشهر، وقاموا أوله يبتغون الأجر، أتاهم هادم اللذات، وقاطع الشهوات، ومفرِّق الجماعات، فنقلوا من القصور المنيفة إلى بطون الحفر، ومن الفرش الوثيرة إلى خشونة المدر، ونحن على الأثر، فتأهبوا لمثل ما حلَّ بهم من الغير، وتذكروا مرارة الموت الذي لا يسلم منه بشر ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ .



من الذي طلبه الموت فأعجزه؟ من الذي تحصَّن في حصنه وما أدركه؟ من الذي سعى في مناه فما أعوزه؟ من الذي أمَّل طول الأجل فما حجزه؟ أي عيش صفا وما كدره؟ وأي غصن علا وما كسره؟ لقد أخذ الآباء والأجداد، وأرمل النساء وأيتم الأولاد، وحال بين المرید والمراد.

لا دافع عنكم من الموت يقيكم، فتوبوا قبل أن تندموا إذا غصت تراقبكم ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ .

فيا من فرطتم في شهر رمضان القائم، هل أنتم على يقين من العيش إلى رمضان قادم؟! فقوموا بحق شهركم، واتقوا الله في سرركم وجهركم، واعلموا أن عليكم ملكين يصحبانكم طول دهركم، ويكتبان كل أعمالكم، فلا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم.